المحاضرة الثالثة
معجم العين للخليل

1- التعريف بصاحب المعجم[1]:

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الدوسي ولد حوالي مائة للهجرة بالبصرة، ونشأ بها، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه، وأكثر الخروج إلى البوادي، وسمع الأعراب الفصحاء، فنبغ في العربية نبوغا لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه. ولقد كان علم زمانه، إذ حباه الله بثقافة واسعة وشخصية عبقرية، مما جعله ذا عقلية ابتكارية خلاقة في مجال البحث اللغوي. ويكفيه أنه كان رأس مدرستي الكوفة والبصرة فقد تتلمذ على يده الكسائي وسيبويه والنضر بن شمبل وغيرهم[2].لم تقتصر براعة الخليل على علوم اللغة وحسب، بل كان بارعاً في الموسيقى والنغم، وقد ثبت الإجماع على أن الخليل هو مبتكر علم العروض، كما كان بارعاً في علم الحساب، وهو ما أهّله أيضا أن يكون الرائد في الصوتيات والمعاجم.

لقد عاش الخليل طوال حياته بالبصرة زاهداً متعفّفاً مكباً على العلم والتعليم، حتى مات في أوائل خلافة الرشيد حوالي174هـ (791م)بصدمة في دعامة مسجد ارتج منها دماغه، مخلّفا العديد من المؤلفات: كالنقط، والشكل، والنغم، والعروض، والشواهد والإيقاع، والجمل، إلا أنه لم يظهر منها غير القليل كالجمل والعين والعروض.

---

[1]- لقد كثر الجدل الخلاف حوا نسبة معجم العين للخليل. وتتلخص هذه الآراء فيما يلي:

1- الخليل لم يؤلف كتاب العين ولا صلة له به، ويذهب إلى هذا الرأي أبو على القالي وأستاذه أبي حاتم، ويعتمد هذا الرأي على أن الكتاب ليس له إسناد، وأنه لم يكن معروفا لتلاميذ الخليل بعد موته، وأن اللغويين في البصرة التي نشأ فيها الخليل لم يقتبسوا من كتاب العين في كتبهم، إلا أن هذا الرأي اعتمد على الرواية ولم يتقصّ الحقيقة في معجم القالي للتعرف على رأيه في العين.

2- الخليل لم يضع نص كتاب العين ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه. منهم الأزهري صاحب التهذيب. ولقد افترض الأزهري هذا الفرض ثم أخذ يؤيده بمختلف الحجج التي تؤيد زعمه، إلا أن بين ثنايا كلامه في مقدمة التهذيب ما يؤكد أن الخليل قد مات قبل أن يتم كتاب العين فأتمه الليث، أي: الكتاب للخليل ولكنه لم يتمه فأتمه الليث.

3- الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين ولكن اشترك معه غيره في ذلك ، ويرجع هذا الرأي لابن المعتز الخليفة الشاعر وقد أورد قصة محبوكة زعم فيها أن الخليل كان قد بدأ تأليف كتاب العين ولما ضاق به الحال رحل إلى الليث فأكرمه فجلس عنده مدة أتم فيها كتاب العين ، فدفع له الليث جائزة كبرى، ثم عكف عليه حتى كاد يحفظه، وذات يوم اشترى الليث جارية حسناء ، فأشعل ذلك نار الغيرة في قلب زوجته، فأحرقت كتاب العين لأنّه كان أعزّ شيء عنده، ففكر اللّيث في إعادة الكتاب مما يحفظه حتى أتم نصفه ثم جمع بعض اللغويين المعاصرين الذين عاونوه على إتمام الكتاب[1]. كما يرى أبو الطيب اللغوي أن الخليل بدأ "كتاب العين" وبعد موته أتمه الليث ويستدل بأن أول الكتاب لا يشبه آخره[1].

4- الخليل رتب أصول الكتاب ثم وضع النص من بعده ، وقال بذلك أبو بكر الزبيدي ثم تبعه بعض المحدثين فى ذلك.

وقد ناقش محقّق كتاب العين في مقدمته (الجزء الأول) هذه الآراء، ليخلص منها إلى أن الكتاب للخليل ويستدل برأي ابن دريد صاحب الجمهرة ، وابن فارس صاحب المقاييس والمجمل ، ثم يقرّر أنّ الخليل بن أحمد هو الذي ألف كتاب العين من أوله إلى آخره. وأن تلميذه الليث كان روايته في ذلك.

[2]- يذكر بعضهم أن كثرة نقل سيبويه في "الكتاب" عن الخليل يؤكد أن الخليل هو المؤلف الحقيقي للكتاب وأن سيبويه مجرد جامع لآراء الخليل وغيره في الكتاب

2- التعريف بالمعجم:

هو أول معجم عربي يؤلّف في اللغة العربية، وأية مجاميع لغوية موحدة الموضوع سبقت الخليل ليست بمعاجم[3] لأن معجم العين بني على خطة ثابتة نجدها في هيكل الكتاب وتقسيماته كما أرتاها الخليل، ولذلك فإن تخطيط شكل المعجم العربي الأول والمعلومات التي نشرت فيه مسألة محسوبة ومناورة علمية مقصودة لذاتها. وأنّ هذا المعجم بني في مضامينه على أن يكون دائرة معارف للغة العرب، ولهذا فقد تضمن شواهد القرآن والحديث والشعر والمثل. وقد كان المعجم حافلاً بالمعلومات الصوتية والصرفية والنحوية.

<u>منهج المعجم</u>:

فكر الخليل في صنع كتاب يحصر فيه لغة العرب كلّها، فلا تنفلت منه كلمة، ولا يشذّ منها لفظ، فأعمل فكره باحثا عن نظام يُخضع له هذه الكلمات، فاهتدى بعقله الرياضي، وذوقه الموسيقي إلى ترتيب أحرف اللغة حسب أصواتها، فكان أوّل باحث يتطرق إلى الأصوات اللغوية، فقرّر أن يبدأ بالحروف الّتي في أقصى الحلقّ، واختار أوّلها حرف العين[4]، لينتهي إلى حروف الشفتين، فكان الميم آخرها. وهكذا كانت عدّة أبواب الكتاب هي عدة الحروف الصحيحة (السواكن) يضاف إليها باب خاص بحروف العلّة، وكلّ باب من تلك الأبواب يتناول بالدرس الكلم مرتّبة حسب أصولها، بقطع النظر عن الأحرف الزائدة بها. وكان الخليل يعالج الكلمة ومقلوباتها في موضع واحد، فما استخدمته العرب ذكره وما لم تستخدمه فهو المهمل. ومن ثم كان يبرر لهذا الإهمال كعدم ائتلاف الحروف في تكوين الصيغة. وقد قسّم الكلم من حيث أصولها إلى ستة أبواب:

1- باب الثنائي المشدّد ثانيه
2- باب الثلاثي الصحيح: ما اجتمع فيه ثلاث أحرف صحيحة
3- باب الثلاثي المعتلّ: وهو ما اجتمع فيه حرفان صحيحان وحرف واحد من حروف العلة سواء كان في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها.
4- باب اللفيف: وهو ما اجتمع فيه حرفا علة في أي موضع.
5- باب الرباعي

[3]- كان معاصرو الخليل من اللغويين يجمعون الكلمات الصعبة المعاني في نظرهم في كتيبات أو رسائل ليشرحوها وقد عرف هذا اللون من المفردات باسم الغريب. وقد كانت فكرة كل رسالة تدور حول موضوع معين كالنبات والخيل والشجر ، وهذا من أجل تقصي معانيها. فأراد الخليل بكتاب "العين" أن يحقق فكرتين؛ الأولى هي معالجة جميع مفردات اللغة وشرحها، والثانية هي وضع نظام يستقصي هذه المواد مع ضمان عدم تكرارها.

[4]- كان معاصرو الخليل من اللغويين يجمعون الكلمات الصعبة المعاني في نظرهم في كتيبات أو رسائل ليشرحوها وقد عرف هذا اللون من المفردات باسم الغريب. وقد كانت فكرة كل رسالة تدور حول موضوع معين كالنبات والخيل والشجر ، وهذا من أجل تقصي معانيها. فأراد الخليل بكتاب "العين" أن يحقق فكرتين؛ الأولى هي معالجة جميع مفردات اللغة وشرحها، والثانية هي وضع نظام يستقصي هذه المواد مع ضمان عدم تكرارها.

6- باب الخماسي[5]

مآخذ الكتاب: وقد أخذ على كتاب العين بعض المآخذ مثل :

1- الطريقة الصوتية التي اتبعها الخليل تحتاج إلى معرفة سابقة لها قبل التعامل مع الكتاب مما يقصر استخدام الكتاب على الخاصة من أبناء العربية.
2- الترتيب الصوتي الذي أخذ به الخليل لا يوافق الترتيب المعروف عند سيبويه وابن جني ولهذا يقل عدد من يستخدمه من الخاصة.
3- نظام تقليبات المادة المتبع يحتاج إلى مزيد عناية للبحث عن المادة، لأن بعض المواد ستعالج في غير موضعها من الترتيب الأساسي للكتاب.

قيمة المعجم:

أحدث معجم العين ثورة في عصره وفي العصور الّتي تلته ولاسيّما في مجال المعجمات، حيث راح بعضهم يختصره نحو كتاب «مختصر العين» لأبي بكر الزبيدي، وبعضهم يستدرك عليه نحو كتاب«استدراك على العين» للمفضّل بن سلمة، وبعضهم يؤلّف مداخلا حوله نحو كتاب «المدخل إلى كتاب العين» للنضر بن شُميل. كما أنّ بعضهم الآخر راح يقتفي أثره نحو كتاب «البارع» لأبي علي القالي(356-280هـ)، و«تهذيب اللغة» لأبي منصور الأزهري(370-282هـ)، و«المحيط في اللغة» للصاحب بن عباد(385-324هـ)، و«المحكم» لابن سيده(458-398هـ).

طبع المعجم وتحقيقه

ظلّت مخطوطات الكتاب الأصلية موجودة حتى القرن الرابع عشر ثم اختفت، ولم يظهر بعد ذلك سوى نسخ مترجمة أو منقولة، ولم يتم إصدار الكتاب في عصرنا الحديث حتى حصل أحد الباحثين وهو الدكتور عبد الله درويش على نسخ منقولة من إنجلترا وألمانيا ونسخة ببغداد وقام بنشر جزءا من الكتاب عام 1967، ثم قام باحثان آخران هما الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرّائي بتحقيق الكتاب كله ونشره كاملا لأول مرة بالعراق في ثمانية أجزاء بين عامي 1980 و1985.

[5]- كان قد بدأ بالعين، لا لأنّها أول الحروف مخرجا، ولكنّها أوّل الحروف نصاعة وثباتا، والهمزة عنده هي أول الحروف مخرجا، لأنّها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد على حدّ تعبيره في الكتاب، ولم يبدأ بها: لأنّها حرف مضغوط مهتوت، إذا رفّه عنه انقلب ألفا أو واوا أو ياء". ولم يعل البدء بالألف ساكنة أبدا، ولا بالهاء لهتتها وخفائها فهي كالألف، ولكنّها أقوى منها في التأليف، لأنّها تقبل الحركة، ويبدأ بها، ومن أجل ذلك أخّرها عن العين، لأن العين عنده أنصع الحروف.